وفد وزاري موسع إلى حلب

بدأ وفد حكومي واسع برئاسة رئيس مجلس الوزراء عماد خميس، أمس، زيارة لمحافظة حلب، تهدف وفق المعلن، إلى الاطلاع على الواقع الاقتصادي والخدمي فيها. ويضم الوفد ستة عشر وزيراً، على أن يعقد اجتماعات في محافظة حلب، للاطلاع على مشروع تقييم المخطط التنظيمي للمدينة.
كذلك سيقوم بجولات ميدانية على المدينة الصناعية في الشيخ نجار، والمناطق الصناعية الأخرى، وعلى عدد من مشاريع الري وصوامع الحبوب ومشاريع السكن الشبابي ومنشآت القطاع العام والخاص التي عادت للعمل. وسيعقد الوفد سلسلة اجتماعات مع الصناعيين والتجار لبحث الواقع الاقتصادي وسبل النهوض به وتأمين مستلزمات الإنتاج.
(الأخبار)

المسلحة لاتفاق التسوية الخاص بالمنطقة.
وفي سياق منفصل، وتعقيباً على الهجوم الذي استهدف قاعدة حميميم الجوية في اللاذقية، نقلت وسائل إعلام روسية عن عدد من الخبراء العسكريين الروس، ما مفاده أن القصف جرى باستخدام أسلحة دخلت عبر الحدود التركية ـ السورية.

وكانت وزارة الخارجية الروسية قد أشارت، بعد محاولة سابقة لاستهداف القاعدة الجوية وإسقاط مقاتلة سورية بصاروخ حراري، إلى أن ذلك يُعَد دليلاً واضحاً على أن خط إمداد المسلحين لم يتوقف، وأن العديد من الدول ما زالت تراهن على الحل العسكري.
(الأخبار)

ثلث سكانها نازحون وتخدم ستة ملايين
دمشق المسكونة بعبارة «أفضل من غيرها»!

كما هي حال جميع المحافظات السورية، تعرضت العاصمة دمشق خلال سنوات الحرب لمتغيرات سكانية واقتصادية واجتماعية ضاغطة، إلا أنها من جانب آخر شهدت بفعل منعكسات الحرب أيضاً زيادة في مؤشرات أخرى قد تقود إلى «ضوء في آخر النفق»

دمشق ــ **زياد غصن**

عندما كان الخطر يقترب من أحياء دمشق في عام 2013، لم يتردد مثقف كبير، في اجتماع مهمّ، باقتراح إمكانية حفر خندق كبير يعزل العاصمة أمنياً عن محيطها ويحميها من أي هجوم مرتقب.
آنذاك، لم يرُق الاقتراح كثيرين، وتعاملوا معه باستخفاف شديد، لكن عملياً كانت السواتر الترابية ترتفع تدريجاً على أطراف العاصمة، تحسباً لمحاولات اختراق مفاجئة يكون منطلقها الريف القريب أو الأحياء القابعة على الأطراف، هذا فضلاً عن الانتشار الكثيف للحواجز الأمنية المسكة بشدة بمداخل العاصمة والطرق الخارجية المؤدية إليها.
ومع ذلك، لم يحدث طوال السنوات السبع الماضية أن أُغلقَت العاصمة مرة واحدة أو عُزلَت عن محيطها، حتى في أحلك الظروف والتهديدات الأمنية، وهذا ربما ما عزز القناعة الشعبية بالوضع الآمن للعاصمة، وتحولها تالياً إلى إحدى أهم وجهات نزوح بعض السوريين وأموالهم وأعمالهم، وهو تطور كان له تأثيراته بالحالة الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية للعاصمة.

نزوح ولجوء وهجرة!

على خلاف ما يعتقده كثيرون، ليست دمشق الأكبر بين المحافظات السورية بعدد سكانها، سواء قبل الأزمة أو خلالها، إذ وفق ما تشير إليه تقديرات المكتب المركزي للإحصاء الخاصة بعدد السكان الموجودين في سوريا منتصف عام 2011، جاءت دمشق في المرتبة الرابعة خلف كل من حلب وريف دمشق وحمص، حيث سجلت آنذاك وجود 1،745 مليون شخص فيها، في حين أن البيانات السكانية المعتمدة على سجلات الأحوال المدنية، والمؤرخة ببداية عام 2011، قذفت بالعاصمة إلى المرتبة السادسة بنحو 1،780 مليون شخص، مع الإشارة هنا إلى نقطتين مهمتين: الأولى تتعلق بضرورة التمييز بين الإقامة والاستقرار المكاني في العاصمة، وبين زيارتها لأسباب عدة، وهذا التمييز ضروري لإزالة أي التباس قد يثار حول الرقم المعلن لعدد سكان العاصمة. أما النقطة الثانية، فتتمثل بأن المحافظة شهدت، كغيرها من المحافظات، تحت ضغط عوامل معينة انزياحات سكانية مستمرة أثرت بالتركيبة السكانية للعاصمة وخصائصها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.
في الأزمة حدثت متغيرات كثيرة بمختلف المجالات، بعضها قلب «أوراق» العاصمة وبعثرها كالنزوح والهجرة، وبعضها الآخر سبّب تأثيرات ليس من السهل تجاوزها أو معالجتها من دون توقف الحرب، كحالة الأمن الغذائي وظهور ما بات يعرف باقتصاديات الحرب، فضلاً عن مؤشرات ما يسمى رأس المال الاجتماعي.
أولى المتغيرات كانت في الانزياحات السكانية التي حدثت تحت ضغط المعارك الدائرة في بعض أحياء العاصمة وفي المحافظات الأخرى، حيث تؤكد البيانات الرسمية الصادرة عن لجنة الإغاثة العليا الحكومية أن دمشق استقبلت بنهاية عام 2016 ما يقرب من 862 ألف نازح، لتأتي بذلك في المرتبة الثانية بعد ريف دمشق في استقبال النازحين الذين بلغ عددهم على مستوى سوريا، ووفقاً للمصدر السابق، نحو 5،241 ملايين نازح.
وتظهر البيانات الصادرة عن المركز السوري لبحوث السياسات، والمستندة إلى مسح السكان الذي أجراه بالتعاون مع الحكومة السورية، أن النازحين إلى العاصمة أصبحوا يشكلون كتلة لا بأس بها من سكان العاصمة (نحو 31%)، حيث قدرت البيانات المذكورة عدد سكان العاصمة في عام 2015 بنحو 1،862 مليون شخص، منهم 1،277 مليون شخص صنفوا على أنهم مستقرون مكانياً، و585 ألف شخص نزحوا إليها خلال فترة الحرب من نحو 12 محافظة، إلا أن القسم الأكبر منهم، وهم بحدود 46%، جاؤوا من أحياء العاصمة الساخنة، ونحو 29% تقريباً

585 ألف شخص نزحوا إلى دمشق من نحو 12 محافظة

(الأخبار)

من ريف دمشق.
واللافت في مسألة الانزياحات السكانية للعاصمة أن عدد النازحين منها وإليها كان شبه متقارب، فإلى جانب نزوح نحو 265 ألف شخص من العاصمة، هناك ما يقرب من 121 ألف دمشقي اختاروا طريق اللجوء، وكانت وجهتهم المفضلة في ذلك دول رئيسية في المنطقة أهمها مصر، لبنان، الأردن، وتركيا، في حين أن الهجرة استقطبت نحو 134 ألف دمشقي، جاء لبنان أولاً بين الدول المستقبلة لهم، فالدول الأوروبية، ثم مصر، وتركيا. وبهذا يكون قد غادر دمشق في السنوات الأربع الأولى من عمر الحرب نحو 520 ألف من سكانها، أي ما يقرب من ثلث سكانها.

فرص الالتفاف أكبر

تحملت العاصمة تبعات الحرب مرتين، مرة عندما فقدت تركيبتها السكانية وما قاد إليه ذلك من متغيرات على حياة سكانها وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، ومرة عندما عادت لتتحول إلى ملجأ وحيد لآلاف السوريين المقيمين في المحافظات الأخرى، والطامحين إلى الظفر بسرير علاج في مستشفياتها وعيادات أطبائها أو بفرصة عمل في مؤسساتها وشركاتها التي لا تزال ناشطة. إذ تشير التقديرات الإحصائية إلى أن «دمشق تخدم اليوم ما يزيد على 6 ملايين شخص، رغم أن عدد سكانها لا يتجاوز 2 إلى 2،5 مليون شخص» كما يقول رئيس الهيئة السورية لشؤون الأسرة والسكان الدكتور أكرم القش، الذي يؤكد أيضاً أن «دمشق كانت من بين أربع محافظات (إلى جانب السويداء، طرطوس، واللاذقية) شهدت مؤشراتها التنموية تأثراً بفعل الحركة السكانية الوافدة إليها، حيث زاد الضغط على الخدمات، وخاصة في مجالات التعليم والصحة وغيرها. هذا رغم أن تكلفة المعيشة والسكن المرتفعة فيها جعلت كثيرين يفضلون النزوح نحو مناطق آمنة أخرى أقل تكلفة». ويضيف في تصريح لـ«الأخبار» أن «المؤشرات التنموية لدمشق، خلال الفترة الأولى الممتدة من عام 2011 وحتى عام 2013، تعرضت لتراجع نسبي، ثم ما لبثت أن عادت إلى مستوياتها الطبيعية رغم الخلل الناجم عن استمرار الضغط على الخدمات العامة». لكن ذلك لا يعني أنها أصبحت مؤشرات مثالية كما قد يتصور البعض، إذ رغم التحسن الواضح الذي عبّرت عنه نتائج مسح الأمن الغذائي الأخير، إلا أن مؤشراتها الخاصة في دمشق لا تزال مقلقة، فهناك ما يقرب من 46،7% من سكان العاصمة معرضون للسقوط في دائرة الفقر الغذائي مع أي تطور سلبي مفاجئ، لا بل إن هناك 20،9% يعانون فعلاً من فقر غذائي، وفقط 32،4% من سكان العاصمة صنفوا بحسب المسح على أنهم آمنون غذائياً.
وإذا كانت العاصمة تحرز تقدماً تدريجياً في استعادة بعض من مؤشراتها التنموية، مستفيدة من تحسن الوضع الأمني والاقتصادي، فإنها في الجانب الاجتماعي، كباقي المحافظات الأخرى، أمام مهمة يتفق الجميع على صعوبتها وخطورتها، رغم أن مؤشراتها في هذا الجانب تبدو «متفائلة» بعض الشيء مقارنة بالمحافظات التي شهدت مستويات مرتفعة من الدمار. فمثلاً تحتل دمشق المرتبة الأخيرة بين المحافظات لجهة انخراط سكانها في أعمال غير قانونية خلال فترة الأزمة، إذ لم تتجاوز نسبة الأشخاص المتورطين في مثل هذه الأعمال نحو 7،5% من إجمالي عدد سكان المحافظة، كذلك يؤكد الباحث زكي محشي في ورقة عمل قدمها أخيراً لجمعية العلوم الاقتصادية أن «مؤشر رأس المال الاجتماعي تراجع خلال سنوات الحرب في دمشق بنسبة 10% فقط، بينما كانت نسبة تراجعه في الرقة نحو 80%». وما يعزز الأمل أكثر بقدرة العاصمة على تجاوز تأثيرات محنة الحرب، أو كما يحبذ السوريون قوله هذه الأيام «رؤية ضوء في آخر نفق أزمتهم»، أن مؤشرات مكونات رأس المال الاجتماعي خلال سنوات الحرب كانت في معظمها إيجابية، فمن جهة هناك ميل متزايد لدى سكان العاصمة للتعاون من أجل تجاوز مشاكلهم، بدليل أن المؤشر الخاص بذلك شهد ارتفاعاً من 0،68 قبل الأزمة إلى 0،73 أثنائها، ومن جهة ثانية هناك اتجاه لدى سكان دمشق للالتفاق على ملفين أساسيين، الأول رؤيتهم لمستقبل منطقتهم، وقد ازداد هذا المؤشر من 0،64 إلى 0،67، والثاني رؤيتهم لمستقبل سوريا، وهنا سجل المؤشر زيادة من 0،70 إلى 0،72 أثناء الأزمة.

إليها، لذلك دفنوا ضحاياهم بـ«الطمر» ومن دون أي مراسم.
يقول حمود الأحمد: «استهدفت طائرة أخي الأكبر وابن أختي وابن عمي وهم يقفون أمام البيت، كانت مجزرة مروعة راح ضحيتها أربعة أشخاص غيرهم، بينهم طفلان، وفقد أحد المارة بصره بسبب الشظايا، جمعت الأشلاء ونقلتها بعدما غادرت الطائرة إلى حديقة الجامع القديم ودفنتها، وما إن عدنا إلى المدينة حتى ذهبنا وأخرجنا الجثث ودفناها في مقابر العائلة بتل البيعة، كان الأمر صعباً لكنه محتوم ولا خيار لنا سوى القبول بالقدر».
مع ذلك، لا يعرف أغلب الأهالي مصير موتاهم الذين قضوا في مستشفيات «داعش» الميدانية، ومن كانوا موتى في براد المستشفى الوطني، وهم حتى اللحظة يعانون لوعة الفقد والمصير المجهول للجثث.

«بابا قسدويك»

هكذا، «حررت» أميركا الأهالي في الرقة من كل شيء، بيوتهم وأموالهم وملابسهم وألعاب أطفالهم، وحتى ذكرياتهم، فلم يعد لديهم أي شيء يُشعرهم بإنسانيتهم سوى الوجع المزمن الذي خلفته الحرب.
وأفاد مدنيون عادوا إلى المدينة المدمرة بأنهم يعانون من جفاف في الحنجرة وحرقة بالأنف والعينين، وأكدوا أن الهواء ملوث برائحة الجثث والبارود والقذائف ما زالت قوية. وقد أكد أطباء أن هذه الحالات طبيعية نتيجة تلوث الهواء بغازات القنابل والألغام، وخاصة أن الرقة تعرضت للقصف بالقنابل العنقودية. تراجيديا الموت المنتشر لم يكن ينقصها سوى رجال تركوا سلاحهم برهة وارتدوا زي «بابا نويل»، فحملوا أكياسهم يدورون أمام الكاميرات بحثاً عن طفولة مفقودة لم يعد لها أي وجود حقيقي حتى في نفوس الأطفال الذين لم يتجاوزوا العاشرة ويعيشون في خيم بدائية.
يقول ناشط مدني من الرقة يعمل في مجال الدعم النفسي: «نسي الأطفال ألعابهم، هم يعرفون اليوم أنواع الطيارات من أصواتها، ويميزون بين الصواريخ والقذائف. فما شاهدوه منها خلال سنوات الحرب الطويلة كان كفيلاً بأن يُنسيهم أنهم أطفال، وأن مكانهم الطبيعي هو على مقاعد الدراسة، لكن أين هي تلك المقاعد؟».
يطوف «بابا قسدويل» في المدينة باحثاً عن أطفال أو من عاد منهم من مخيمات النزوح. يحمل كيساً، لكن هل سيُعيد ذاك الكيس الآباء إلى أطفالهم؟ هل سيُعيد بيوتهم المدمرة؟ سُئل أحد الأطفال: ماذا تريد أن تصير في المستقبل، فأجاب بثقة: شهيد! فماذا يمكن أن يقدم العسكري المتنكر بلباس «بابا نويل» إلى أطفال أمنيتهم الموت؟